تفسير البيضاوي

المسمّى

أنوار التنزيل وأسرار التأويل

تأليف

القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي

ت: ٧٩١ هـ

حققه وعلق عليه وخرّج أحاديثه وضبط نصّه

محمد صبحي بن حسن حلّاق و الدكتور محمود أحمد الأطرش

المجلّد الأول

دار الرشيد
دمشق - بيروت

مؤسسة الإيمان
بيروت - لبنان

جَميعُ الحقوق محفوظَة
لدار الرَّشيد

الطبعة الأولى
١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

إن الحمد لله، نحمدُه ونستعينهُ ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلل، فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكلّ بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعد:

فإن أجل العلوم وأشرفها هو ما كان لخدمة كتاب الله تبارك وتعالى، وقد بذل العلماء كثيراً من الجهود لخدمة كتاب الله تعالى وبيان مراميه وتوضيح معانيه، وكان من أجل هذه الكتب تفسير البيضاوي المسمى «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» وقد عكف عليه العلماء وطلاب العلم بالدرس والشرح.

لذلك كانت خدمة هذا الكتاب من أجل الأعمال التي نسأل الله تعالى أن يجعله في صحائف أعمالنا، وخاصة أن عبارة البيضاوي تدق أحياناً وتخفى إلا على ذي بصيرة ثاقبة، وضبطُ عبارته قد يزيل كثيراً من الإشكال والغموض.

أولاً ـ التعريف بمؤلف هذا التفسير:

١ ـ اسمه ونسبه:

هو الإمام عبد الله بن عمر بن محمد بن علي، أبو سعيد، البيضاوي، الشيرازي، الفارسي الشافعي القاضي، المفتي، العالم بالفقه، وأصول الفقه، والتفسير، وأصول الدين والمنطق، والعربية، والنحو، والتاريخ والهيئة.

والبيضاوي: نسبة إلى البيضاء من بلاد فارس، وهي مدينة كبيرة من أعمال شيراز، وأكبر مدينة بإصطخر، وينتسب إليها جماعة من العلماء، وهذه النسبة للبيضاء أشهر النسب، وبها

يعرف[1].

والشيرازي: نسبة إلى شيراز، وهي بلدة عظيمة مشهورة في وسط بلاد فارس ونسب البيضاوي إليها لأن البيضاء تابعة لها، ولأنه تولى قضاء شيراز مدة.

والفارسي: نسبة إلى بلاد فارس التي ولد فيها، ونشأ في ربوعها، وتربى في أحضانها، وتعلم لغتها، كتب فيها، وألف بعض كتبه باللغة الفارسية، ويعتبر البيضاوي من أعلام الأدب الفارسي.

والشافعي: نسبة إلى مذهب الإمام محمد بن إدريس الشافعي في الفقه الإسلامي، وينسب البيضاوي إليه لأنه تفقه على هذا المذهب، وتولى القضاء للحكم بأحكامه، وصنف بعض الكتب الفقهية في المذهب الشافعي، وقدم فيه خدمات جُلَّى.

ويعرف البيضاوي بالقاضي، وقاضي القضاة، لأنه تولى هذين المنصبين فترة من الزمن.

٢ ـ ولادته ونشأته:

ولد البيضاوي في مدينة «البيضاء» باتفاق، ولم يذكر مرجع واحد تاريخ ولادته، كما أغفلت جميع المصادر التي اطلعت عليها سنَّهُ عند الوفاة، مما يستحيل علينا تقدير ولادته، لكن يفهم من كتب التراجم أن البيضاوي رحمه الله كان من المعمَّرين، وعاش طويلاً.

وأما نشأة البيضاوي، فيظهر أنه نشأ في البيضاء، وتربى فيها على يد والده، وبدأ التعلم وتحصيل الفقه وغيره في البيضاء، وقد اقتصرت كتب التراجم على أنه تفقه بوالده، وهو ما صرح به القاضي البيضاوي نفسه.

قال اليافعي في «مرآة الجنان»[2]: «تفقه بأبيه، وتفقه والده بالعلامة مجير الدين محمود بن المبارك البغدادي، الشافعي، وتفقه مجير الدين بالإمام زين الدين حجة الإسلام أبي حامد الغزالي رحمهم الله تعالى» هـ.

ويحتمل أن البيضاوي رحل إلى شيراز وتبريز وسائر بلاد فارس يطلب العلم، ويكتسب المعارف، ودليلنا على ذلك نتاج البيضاوي ومعارفه وثقافته واختلاف العلوم التي صنف فيها.. وكذلك انتقال والده إلى شيراز وكان مقرَّباً للأتابك أبي بكر بن سعد بن زنكي الذي حكم فارس سنة (٦٢٣ ـ ٦٥٨ هـ) وولاه قاضي القضاة[3] فاستقر في شيراز والغالب أن يكون الوالد قد صحب ابنه معه إلى شيراز.

كما ثبت في ترجمة البيضاوي أنه رحل إلى تبريز والتقى بالشيخ (محمد الكتحتائي) ويظهر أن هذه الرحلة كانت بعد أن تولى القضاء بشيراز، كما ثبت أن البيضاوي استقر بعد ذلك في تبريز ومات فيها.

---

(١) انظر «الأنساب» للسمعاني (١/ ٤٣١ ـ ٤٣٢) ومراصد الاطلاع (١/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣).

(٢) (٤/ ٢٢٠) الطبعة الأولى ـ حيدر آباد الدكن ـ سنة (١٣٣٩ هـ).

(٣) «دائرة المعارف الإسلامية» (٩/ ٣٢) ط: الشعب.

٣ ـ شيوخه وتلامذته:

أ) شيوخه:

قضى البيضاوي معظم حياته في شيراز المشهورة بالعلم، وأخذ العلوم المختلفة عن كبار العلماء فيها.

لكن كتب التراجم والتاريخ لم تحفظ لنا أسماء العلماء والشيوخ الذين أخذ عنهم، وسكتت عن رخلاته في طلب العلم. ولم يصل إلينا إلا ما صرح به البيضاوي نفسه من تفقهه على والده عمر بن محمد بن علي البيضاوي الذي كان قاضي الممالك عند الدولة السلفرية في بلاد فارس[١].

وأشارت بعض المراجع إلى أن القاضي البيضاوي كان متأثراً بالشيخ (محمد بن محمد الكتحتائي) الذي ساعده في تولي القضاء.

ب) تلامذته:

لم يكن حظ البيضاوي في معرفة تلامذته أحسن حالاً من معرفة شيوخه، فلم يذكر المؤرخون أحداً من تلامذة البيضاوي إلا ما جاء في ثنايا الكتب وأسماء المؤلفين. وهم:

١ ـ أحمد بن الحسن، الشيخ فخر الدين، الإمام الجارَ بَرْدِيُّ، العالم الفاضل، الدَّيِّن الوقور الذي كان مواظباً على العلم وإفادة الطلبة[٢].

٢ ـ الشيخ زين الدين الهنكي، تلميذ البيضاوي، الذي صار شيخاً لعضد الدين الإيجي، صاحب التصانيف المشهورة، وقال طاش كبرى زاده: «الهَبْكى»[٣].

٣ ـ الشيخ كمال الدين المراغي، وهو عمر بن إلياس بن يونس، أبو القاسم، الصوفي الذي ولد بأذربيجان سنة (٦٤٣ هـ)[٤].

٤ ـ الشيخ عبد الرحمن الأصبهاني[٥].

٤ ـ أقوال العلماء فيه:

قال ابن كثير في «البداية والنهاية»[٦]: «هو القاضي الإمام العلاّمة، ناصر الدين، عبد الله بن عمر الشيرازي، قاضيها وعالمها وعالم أذربيجان وتلك النواحي»هـ.

وقال ابن السبكي في «طبقات الشافعية الكبرى»[٧]: «كان إماماً مبرِّزاً، نظَّاراً، صالحاً متعبداً، زاهداً» هـ.

---

(١) انظر «مرآة الجنان» (٤/ ٢٢٠) و«التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان» (ص١١٦) ط: شركة التجارة ـ بغداد سنة ١٣٧٦ هـ.

(٢) انظر ترجمته في «البدر الطالع» (١/ ٤٧) و«الدرر الكامنة» (١/ ١٣٢).

(٣) انظر ترجمته في «البدر الطالع» (١/ ٣٢٦) و«الدرر الكامنة» (٢/ ٤٢٩).

(٤) انظر «الدرر الكامنة» (٣/ ٢٣٢).

(٥) انظر «الغاية القصوى» ـ المقدمة (١/ ٦٧) ـ والمراجع المشار إليها في الهامش ـ ط: دار النصر بمصر سنة ١٩٨٢ م.

(٦) (١٣/ ٣٠٩) تصوير عن الطبعة الأولى عام ١٩٦٦ م.

(٧) (٨/ ١٥٧).

وقال الإسنوي في «طبقات الشافعية»[1]: «كان المذكور عالماً بعلوم كثيرة، صالحاً خيِّراً» هـ.

وقال اليافعي في «مرآة الجنان»[2]: «الإمام، أعلم العلماء الأعلام، ذو التصانيف المفيدة المحققه والمباحث الحميدة المدقَّقه» هـ.

٥ ـ مؤلفاته[3].

١ ـ «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» ويسمى «تفسير البيضاوي» وهو كتابنا هذا.
٢ ـ «تحفة الأبرار» في شرح مصابيح السنة للبغوي في الحديث الشريف.
٣ ـ «الغاية القصوى في دراية الفتوى» في فروع الفقه الشافعي.
٤ ـ «شرح التنبيه للشيرازي» في الفقه الشافعي. ذكره ابن كثير.
٥ ـ «منهاج الوصول إلى علم الأصول».
٦ ـ «شرح منهاج الوصول».
٧ ـ «شرح المنتخب» في أصول الفقه للإمام فخر الدين الرازي.
٨ ـ «شرح المحصول» في أصول الفقه للإمام فخر الدين الرازي. أيضاً ذكره ابن كثير.
٩ ـ «مرصاد الأفهام إلى مبادىء الأحكام» وهو شرح مختصر ابن الحاجب في أصول الفقه.
١٠ ـ «طوالع الأنوار في أصول الدين».
١١ ـ «مصباح الأرواح» اختصر فيه طوالع الأنوار في أصول الدين.
١٢ ـ «الإيضاح في أصول الدين» وهو شرح على كتاب المصباح.
١٣ ـ «شرح الكافية» في النحو لابن الحاجب.
١٤ ـ «لب الألباب في علم الإعراب» اختصر فيه الكافية لابن الحاجب.
١٥ ـ «شرح المطالع» وهو مطالع الأنوار في الحكمة والمنطق للقاضي سراج الدين الأرموي.
١٦ ـ «متن في علم الهيئة» وهو مختصر ذكره الخفاجي.
١٧ ـ «نظام التواريخ» باللغة الفارسية، من ابتداء الخلق حتى سنة (٦٧٤ هـ).
١٨ ـ «التهذيب والأخلاق» في التصوف، ذكره محب الدين الخطيب في مقدمة نهاية السول.
١٩ ـ «رسالة في موضوعات العلم وتعارفها» ذكرها البغدادي والزركلي.
٢٠ ـ «شرح الفصول» لنصير الدين الطوسي، ذكره البغدادي والخوانساري.
٢١ ـ «منتهى المنى في شرح أسماء الله الحسنى» ذكره البغدادي.

---

(١) (١/ ٢٨٣) مطبعة الإرشاد ـ بغداد سنة ١٣٩٠ هـ. تحقيق الجبوري.
(٢) (٤/ ٢٢٠).
(٣) انظر «بغية الوعاة» (٢/ ٥٠ ـ ٥١). ومعجم المؤلفين (٢/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧ رقم ٨١٣٩) وطبقات المفسرين للداوودي (١/ ٢٤٨ رقم ٢٣٠). والوافي بالوفيات للصفدي (١٧/ ٣٧٩). وكتاب «القاضي البيضاوي» للدكتور محمد الزحيلي. وكتاب «القاضي ناصر الدين البيضاوي وأثره في أصول الفقه» للدكتور: جلال الدين عبد الرحمن. وشذرات الذهب (٥/ ٣٩٢) ومعجم المفسرين لنويهض (١/ ٣١٨) وطبقات المفسرين للسبكي (٨/ ١٥٧) وطبقات الشافعية للقاضي ابن شهبة (٢/ ١٧٢) والأعلام للزركلي (٤/ ١١٠) والتفسير والمفسرون (١/ ٢٨٢).

٦ ـ وفاته:

مات البيضاوي رحمه الله سنة خمس وثمانين وستمائة بتبريز، كذا ذكره الصفدي وقال السبكي: سنة إحدى وتسعين. والله أعلم.

ثانياً ـ التعريف بتفسير العلامة البيضاوي وطريقته في تأليفه:

تفسير العلامة البيضاوي، تفسير متوسط الحجم، جمع فيه صاحبه بين التفسير والتأويل، على مقتضى قواعد اللغة العربية، وقرر فيه الأدلة على أصول أهل السنة.

وقد اختصر البيضاوي تفسيره من الكشاف للزمخشري، ولكنه ترك ما فيه من اعتزالات، وإن كان أحياناً يذهب إلى ما يذهب إليه صاحب الكشاف، ومن ذلك أنه عندما فسر قوله تعالى في الآية (٢٧٥) من سورة البقرة: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ وجدناه يقول: «إلا قياماً كقيام المصروع، وهو وارد على ما يزعمون أن الشيطان يخبط الإنسان فيصرع». ثم يفسر المس بالجنون ويقول: «وهذا أيضاً من زعماتهم أن الجني يمس الرجل فيخلط عقله»[(١)].

ولا شك أن هذا موافق لما ذهب إليه الزمخشري من أن الجن لا تسلط لها على الإنسان إلا بالوسوسة والإغواء.

كما أننا نجد البيضاوي قد وقع فيما وقع فيه صاحب الكشاف، من ذكره في نهاية كل سورة حديثاً في فضلها وما لقارئها من الثواب والأجر عند الله، وقد عرفنا قيمة هذه الأحاديث فقلنا إنها موضوعة باتفاق أهل الحديث، ولست أعرف كيف اغتر بها البيضاوي فرواها وتابع الزمخشري في ذكرها عند آخر تفسيره لكل سورة، مع ماله من مكانة علمية، وسيأتي اعتذار بعض الناس عنه في ذلك، وإن كان اعتذاراً ضعيفاً، لا يكفي لتبرير هذا العمل الذي لا يليق بعالم كالبيضاوي له قيمته ومكانته.

وكذلك استمد البيضاوي تفسيره من التفسير الكبير المسمى بـ «مفاتيح الغيب» للفخر الرازي، ومن تفسير الراغب الأصفهاني، وضم لذلك بعض الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين، كما أنه أعمل فيه عقله، فضمنه نكتاً بارعة، ولطائف رائعة، واستنباطات دقيقة، كل هذا في أسلوب رائع موجز؛ وعبارة تدق أحياناً وتخفى إلا على ذي بصيرة ثاقبة، وفطنة نيرة. وهو يهتم أحياناً بذكر القراءات، ولكنه لا يلتزم المتواتر منها فيذكر الشاذ، كما أنه يعرض للصناعة النحوية، ولكن بدون توسع واستفاضة، كما أنه يتعرض عند آيات الأحكام لبعض المسائل الفقهية بدون توسع منه في ذلك، وإن كان يظهر لنا أنه يميل غالباً لتأييد مذهبه وترويجه، فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى في الآية (٢٢٨) من سورة البقرة: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾. يقول ما نصه: «وقروء جمع قرء، وهو يطلق للحيض كقوله ﷺ: «دعي الصلاة أيام أقرائك»[(٢)]. والطهر الفاصل بين الحيضتين، كقول الأعشى:

---

(١) (١/٢٦٧) دار الكتب العربية ١٣٣٠هـ.

(٢) أخرجه أبو داود (١/٢٠٨ رقم ٢٩٧) والترمذي (١/٢٢٠ رقم ١٢٦) وابن ماجه (١/٢٠٤ رقم ٦٢٥) إسناده ضعيف من حديث عدي بن ثابت عن أبيه عن جده وله شواهد من حديث عائشة وأم سلمة وسودة بنت زمعة فهو

مـــورثـــة مـــالاً وفـــي الحـــي رفعـــة لمـــا ضـــاع فيهـــا مـــن قـــروء نســـائكـــا

وأصله الانتقال من الطهر إلى الحيض، وهو المراد في الآية؛ لأنه الدال على براءة الرحم لا الحيض كما قاله الحنفية، لقوله تعالى: ﴿فطلقوهن لعدتهن﴾ [الطلاق: ١] أي وقت عدتهن، والطلاق المشروع لا يكون في الحيض، وأما قوله: «طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان»[١] فلا يقاوم ما رواه الشيخان[٢] في قصة ابن عمر: «مره فليراجعها، ثم ليمسكها حتى تطهر، ثم تحيض، ثم تطهر، ثم إن شاء أمسك بعد، وإن شاء طلق قبل أن يمس، فتلك العدة التي أمر الله تعالى أن تطلق لها النساء»[٣].

كذلك نجد البيضاوي كثيراً ما يقرر مذهب أهل السنة، ومذهب المعتزلة عندما يعرض لتفسير آية لها صلة بنقطة من نقط النزاع بينهم.

فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى في الآيتين (٢و٣) من سورة البقرة: ﴿هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾ نراه يعرض لبيان معنى الإيمان والنفاق عند أهل السنة والمعتزلة والخوارج، بتوسع ظاهر، وترجيح منه لمذهب أهل السنة[٤].

ومثلاً عند تفسيره لقوله تعالى في أول سورة البقرة أيضاً: ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ نراه يتعرض للخلاف الذي بين أهل السنة والمعتزلة فيما يطلق عليه اسم الرزق، ويذكر وجهة نظر كل فريق، مع ترجيحه لمذهب أهل السنة[٥].

والبيضاوي رحمه الله مقل جداً من ذكر الروايات الإسرائيلية، وهو يصدر الرواية بقوله: روى أو قيل، إشعاراً منه بضعفها.

فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى في الآية(٢٢) من سورة النمل: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ يقول بعد فراغه من تفسيرها: روى أنه عليه السلام لما أتم بناء بيت المقدس تجهز، للحج... إلى آخر القصة التي يقف البيضاوي بعد روايتها موقف المجوز لها، غير القاطع بصحتها، حيث يقول ما نصه: «ولعل في عجائب قدرة الله وما خص به خاصة عباده أشياء أعظم من ذلك، يستكبرها من يعرفها، ويستنكرها من ينكرها»[٦].

= بها صحيح انظر نصب الراية للزيلعي (١/ ٢٠٢).

(١) أخرجه الترمذي (٣/ ٤٨٨ رقم ١١٨٢) وأبو داود (٢/ ٦٣٩ رقم ٢١٨٩) والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٣٦٩ ـ ٣٧٠، ٤٢٦) وابن ماجه (١/ ٦٧٢ رقم ٢٠٨٠) والحاكم (٢/ ٢٠٥) من حديث عائشة قال الترمذي: «حديث عائشة غريب، لا نعرفه إلا من حديث مظاهر بن أسلم، ومظاهر لا نعرفُ له في العلم غير هذا الحديث» هـ، وقال أبو داود: وهو حديث مجهول، وقال الألباني: في الإرواء (٧/ ١٤٨ رقم ٢٠٦٦): ضعيف.

(٢) البخاري (٩/ ٦٥٣ رقم ٤٩٠٨) ومسلم (٢/ ١٠٩٣ رقم ١٤٧١).

(٣) (١/ ٢٤٠).

(٤) (١/ ٥٣ ـ ٥٦).

(٥) (١/ ٥٨ ـ ٥٩).

(٦) (٤/ ١١٥).

ثم إن البيضاوي إذا عرض للآيات الكونية، فإنه لا يتركها بدون أن يخوض في مباحث الكون والطبيعة، ولعل هذه الظاهرة سرت إليه من طريق التفسير الكبير للفخر الرازي، الذي استمد منه كما قلنا، فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى في الآية (١٠) من سورة الصافات: ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ نراه يعرض لحقيقة الشهاب ذلك فيقول: «وما قيل إنه بخار يصعد إلى الأثير فيشتعل فتخمين، إن صح لم يناف ذلك» إلى آخر كلامه في هذا الموضع[١].

هذا وأرى أن أسوق لك بعض العبارات الشارحة لنهج البيضاوي في تفسيره، والمبينة لمصادره التي رجع إليها واختصره منها، كشاهد على بعض ما ذكرناه من ناحية، وتتميماً للفائدة من ناحية أخرى.

قال البيضاوي نفسه في مقدمة تفسيره هذا ـ بعد الديباجة ـ ما نصه:

«ولطالما أحدث نفسي بأن أصنف في هذا الفن ـ يعني التفسير ـ كتاباً يحتوي على صفوة ما بلغني من عظماء الصحابة، وعلماء التابعين ومن دونهم من السلف الصالحين، وينطوي على نكات بارعة، ولطائف رائعة، استنبطتها أنا ومن قبلي من أفاضل المتأخرين، وأماثل المحققين، ويعرب عن وجوه القراءات المشهورة المعزية إلى الأئمة الثمانية المشهورين، والشواذ المروية عن القراء المعتبرين، إلا أن قصور بضاعتي يثبطني عن الإقدام، ويمنعني عن الانتصاب في هذا المقام، حتى سنح لي بعد الاستخارة ما صمم به عزمي على الشروع فيما أردته، والإتيان بما قصدته، ناوياً أن أسميه بـ «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»[٢].

ويقول في آخر الكتاب ما نصه: «وقد اتفق إتمام تعليق سواد هذا الكتاب المنطوي على فرائد ذوي الألباب، المشتمل على خلاصة أقوال أكابر الأئمة، وصفوة آراء أعلام الأمة، في تفسير القرآن وتحقيق معانيه، والكشف عن عويصات ألفاظه ومعجزات مبانيه، مع الإيجاز، الخالي عن الإخلال والتلخيص العاري عن الإضلال، الموسوم بـ «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»[٣].

وكأني به في هذه الجملة الأخيرة، يشير إلى أنه اختصره من تفسير الكشاف ولخص منه، ضمن ما اختصره ولخصه من كتب التفسير الأخرى، غير أنه ترك ما فيه من نزعات الضلال وشطحات الاعتزال.

ويقول الجلال السيوطي رحمه الله في حاشيته على هذا التفسير المسمى بـ «نواهد الأبكار وشوارد الأفكار» ما نصه: «وإن القاضي ناصر الدين البيضاوي لخص هذا الكتاب فأجاد، وأتى بكل مستجاد، وميز ما فيه أماكن الاعتزال، وطرح موضع الدسائس وأزال، وحرر مهمات، واستدرك تتمات، فظهر كأنه سبيكة نضار واشتهر اشتهار الشمس في رابعة النهار، عكف عليه العاكفون، ونهج بذكر محاسنه الواصفون، وذاق طعم دقائقه العارفون، فأكب عليه العلماء تدريساً ومطالعةً، وبادروا إلى تلقيه بالقبول رغبة فيه ومسارعة»[٤].

---

(١) (٥/٣).

(٢) (١/٦).

(٣) (٥/٢٠٤).

(٤) المدخل المنير لشيخ مخلوف ص٤١، مطبعة المعاهد سنة ١٣٥١ هـ.

ويقول صاحب «كشف الظنون» (١/ ١٢٧ ـ ١٢٨) ما نصه: «وتفسيره هذا ـ يريد تفسير البيضاوي ـ كتاب عظيم الشأن، غني عن البيان، لخص فيه من الكشاف ما يتعلق بالإعراب والمعاني والبيان، ومن التفسير الكبير ما يتعلق بالحكمة والكلام، ومن تفسير الراغب ما يتعلق بالاشتقاق وغوامض الحقائق ولطائف الإشارات وضم إليه ما روى زناد فكره من الوجوه المعقولة، فجلا رين الشك عن السريرة، وزاد في العلم بسطة وبصيرة، كما قال المنشي:

أولو الألباب لم يأتوا بكشف قناع ما يتلى
ولكن كان للقاضي يد بيضاء لا تبلى

ولكونه متبحراً جال في ميدان فرسان الكلام، فأظهر مهارته في العلوم حسبما يليق بالمقام، كشف القناع تارة عن وجوه محاسن الإشارة، وملح الاستعارة، وهتك الأستار الأخرى عن أسرار المعقولات بيد الحكمة ولسانها، وترجمان المناطقة وميزانها، فحل ما أشكل على الأنام، وذلل لهم صعاب المرام، وأورد في المباحث الدقيقة ما يؤمن به عن الشبه المضلة، وأوضح لهم مناهج الأدلة، والذي ذكره من وجوه التفسير ثانياً أو ثالثاً أو رابعاً بلفظ قيل، فهو ضعيف ضعف المرجوح أو ضعف المردود.

وأما الوجه الذي تفرد فيه، وظن بعضهم أنه مما لا ينبغي أن يكون من الوجوه التفسيرية السنية، كقوله: وحمل الملائكة العرش وحفيفهم حوله مجاز، عن حفظهم وتدبيرهم له[1] ونحوه، فهو ظن من لعله يقصر فهمه عن تصور مبانيه، ولا يبلغ علمه إلى الإحاطة بما فيه فمن اعترض بمثله على كلامه كأنه ينصب الحبالة للعنقاء، ويروم أن يقبض نسر السماء؛ لأنه مالك زمام العلوم الدينية، والفنون اليقينية، على مذهب أهل السنة والجماعة، وقد اعترفوا له قاطبة بالفضل المطلق، وسلموا إليه قصب السبق، فكان تفسيره يحتوي فنوناً من العلم وعرة المسالك، وأنواعاً من القواعد المختلفة الطرائق، وقل من برز، في فن إلا وصده عن سواه وشغله، والمرء عدو لما جهله، فلا يصل إلى مرامه إلا من نظر إليه بعين فكره، وأعمى عين هواه، واستبعد نفسه في طاعة مولاه، حتى يسلم من الغلط والزلل، ويقتدر على رد السفسطة والجدل.

وأما أكثر الأحاديث التي أوردها في أواخر السور، فإنه لكونه ممن صفت مرآة قلبه، وتعرض لنفحات ربه، تسامح فيه، وأعرض عن أسباب التجريح والتعديل، ونحا نحو الترغيب والتأويل، عالماً بأنها مما فاه صاحبه بزور، ودلى بغرور.

ثم إن هذا الكتاب رزق من عند الله سبحانه وتعالى بحسن القبول عند جمهور الأفاضل والفحول، فعكفوا عليه بالدرس والتحشية، فمنهم من علق تعليقة على سورة منه، ومنهم من حشى تحشية تامة، ومنهم من كتب على بعض مواضع منه» هـ.

ثم عد من هذه الحواشي ما يزيد عدده على الأربعين، ولا أطيل بذكرها، ومن شاء الاطلاع على

---

(١) انظر تفسير البيضاوي لقوله تعالى في الآية (٧) من سورة غافر: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ الآية (٥/ ٣٤).

ذلك فليرجع إليه في موضعه الذي أشرت إليه، وحسبي أن أقول: ـ والقائل الذهبي ـ إن أشهر هذه الحواشي وأكثرها تداولاً ونفعاً: حاشية قاضي زاده، وحاشية الشهاب الخفاجي، وحاشية القونوي.

وجملة القول، فالكتاب من أمهات كتب التفسير، التي لا يستغني عنها من يريد أن يفهم كلام الله تعالى، ويقف على أسراره ومعانيه، وهو مطبوع عدة طبعات ومتوسط في حجمه[1].

ولما كان لهذا الكتاب تلك المكانة الرفيعة بين كتب التفسير، كان ينبغي أن يتوفر الكتاب في المكتبات بشكل أنيق، وأن يكون محققاً فهو من أجدر الكتب التي ينبغي تحقيقها، ولكن للأسف لا توجد في المكتبات سوى نسخ قديمة، منها نسخة قديمة مكتوبة بخط اليد، وقد قامت دار الفكر بتصويرها، ومنها نسخ مطبوعة قديمة وبهامشها حاشية الكازورني، ثم قامت دار الكتب العلمية في بيروت بطباعة هذا الكتاب طباعة حديثة وهو ـ مع الأسف ـ مليء بالأخطاء، ولا تكاد صفحة تخلو من خطأ، فأحياناً تترك كلمات وأحياناً تترك أسطر، وكثيراً ما غيّر شكل الكلمة الإملائية.

لذلك وقع في قلبنا خدمة هذا الكتاب الجليل، بشكل يتفق مع مكانته وشهرته العلمية، وكذلك طمعاً في ثواب الله، وخدمة للإسلام، والمسلمين فالله نسأل أن يجعل ما قدمناه في ميزان حسناتنا يوم العرض عليه.

ثالثاً ـ مقارنة مختصرة بين تفسير البيضاوي وتفسير أبي السعود:

نظراً لاشتهار تفسير البيضاوي في أرجاء العالم الإسلامي وقد عكف عليه طلاب العلم والعلماء بالدرس والشرح، فقد عكف العلامة أبو السعود ومنذ مطلع حياته على تفسيري: الكشاف، والبيضاوي، وكان يدور في خلده أثناء عكوفه على المدارسة فيهما أن ينظم درر فوائدهما في سمط دقيق، ويرتب غرر فرائدهما على ترتيب أنيق، ويضيف إليهما ما ألفاه في تضاعيف الكتب من جواهر الحقائق على نسق أنيق وأسلوب بديع، وتحقيقات رصينة وتدقيقات متينة، ويبرز، من دقائق سر الكتاب ما تطمئن إليه النفوس وتقر به العيون، ورغم كثرة مشاغله وضيق وقته انتهز، بعض الفرص ما دوّن به تفسيره الذي سماه «إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم».

وقد كان تفسير أبي السعود بحق من أجود التفاسير وأجلها حيث كشف فيه عن أسرار البلاغة القرآنية ولطائف العبارات والإشارات بما لم يسبقه إليه أحد في بابه، ولذلك ذاعت شهرته في الأقطار والأمصار وعكف عليه العلماء بالدرس.

ومن خلال المتابعة بين تفسيري البيضاوي وأبي السعود نجد أن أبا السعود اعتمد اعتماداً أساسياً على تفسير البيضاوي فكان في الغالب ينقل عبارة البيضاوي نفسها أو يكتبها بأسلوبه البليغ الرصين بعبارة قد تكون أوضح أو أكثر غموضاً من عبارة البيضاوي، وبإمكاننا إثبات هذه المقارنة بين التفسيرين:

---

(١) التفسير والمفسرون، تأليف: د. «محمد حسين الذهبي» رحمه الله تعالى (١/ ٢٨٢ ـ ٢٨٨).

١ ـ قد يختصر أبو السعود ما ورد في البيضاوي، فقد يترك بعض الروايات أو الأقوال التي ذكرها البيضاوي فيذكر قولاً واحداً، بينما يكون البيضاوي قد ذكر أكثر من قول.

٢ ـ كثيراً ما يردّ أبو السعود على البيضاوي من خلال شرحه على البيضاوي إن اختار رأياً مخالفاً، فيقول: وأما ما قيل كذا وكذا، فيرده.

٣ ـ قد تجد تفصيلاً عند أبي السعود دون البيضاوي وقد تجد تفصيلاً عند البيضاوي أعرض عنه أبو السعود.

٤ ـ قد تجد البيضاوي أكثر غوصاً وتعرضاً للصرف وبيان أصول الكلمات واشتقاقها.

٥ ـ البيضاوي يشير للنكات البلاغية ولطائف الإشارات ولا يكررها في بقية الآيات وقد يذكر أنه وردت الإشارة إليها عند آية كذا وكذا، بينما أبو السعود يشير لكل نكتة بلاغية كلما وردت.

٦ ـ أبو السعود اعتمد على القراءة المشتهرة قراءة حفص عن عاصم، بينما اعتمد البيضاوي على غير قراءة حفص ولعلها قراءة نافع أو ابن كثير.

٧ ـ أبو السعود يذكر القراءات المتواترة وغير المتواترة، وقد يذكر قراءات لم يذكرها البيضاوي إلا أن أبا السعود يذكر المتواتر وغيره وبلفظ قرىء كذا وقرىء كذا فهو لا يفرّق بين القراءة المتواترة وغيرها.

أما البيضاوي فيذكر القراءات المتواترة ويشير لأصحابها أما القراءات غير المتواترة فيذكرها بلفظ قرىء.

٨ ـ البيضاوي يضعّف بعض القراءات المتواترة من جهة اللغة اعتماداً على مذهب نحوي كما ضعف قراءة حمزة في أول النساء «والأرحام».

٩ ـ أبو السعود والبيضاوي قد يذكران حديثاً صحيحاً بلفظ روي المنبىء بضعفه عند المحدثين وقد يكون في الصحيحين.

١٠ ـ أبو السعود والبيضاوي يذكران أحاديث في فضائل كل سورة في نهايتها، وهي أحاديث موضوعة في غالبها باتفاق المحدثين.

١١ ـ أبو السعود يتبع البيضاوي في ما وقع فيه من هفوات اعتزالية تسربت إليه من الكشاف.

وعليه فلكل تفسير من التفسيرين ميزة خاصة

---

(١) وقد قام المحقق «محمد صبحي حسن الحلاق» بتحقيق وتخريج تفسير أبي السعود ولله الحمد والمنة.

رابعاً ـ وصف المخطوط الذي اعتمدنا عليه:

المخطوطة «أ»: أول المخطوط: الحمد لله الذي نز،ل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً. . .

آخر المخطوط: من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التي أنزلها الله تعالى.

الخط: نسخي معتاد.

خ: ٥ ذو الحجة/١٠٥٦ هـ.

ق: ٣٨٧ م: ٣٣س: ٣٠×٢١

ملاحظات: نص القرآن بالمداد الأحمر، يبدأ من الفاتحة إلى الناس من وقف الإمام يحيى.

خامساً ـ منهجنا في تحقيق الكتاب وتخريجه:

١ ـ نسخ المخطوط.

٢ ـ مقدمة وتحتوي على:

١ ـ التعريف بمؤلف هذا التفسير.

٢ ـ التعريف بتفسير البيضاوي وطريقته في تأليفه.

٣ ـ مقارنة مختصرة بين تفسير البيضاوي وتفسير أبي السعود.

٤ ـ وصف المخطوط.

٣ ـ منهجنا في تحقيق الكتاب وتخريجه.

٤ ـ تحقيق نص التفسير وضبطه بالشكل، ليزيل كثيراً من غموض العبارة.

٥ ـ تخريج الآيات الواردة في التفسير بذكر رقمها وسورها.

٦ ـ ضبط القراءات ـ المتواترة وغيرها ـ بالرجوع إلى كتب القراءات.

٧ ـ تخريج الأحاديث من مصادرها.

٨ ـ بيان مرتبة كل حديث من الصحة أو الضعف.

٩ ـ ترجمة الأعلام المذكورة في التفسير غالباً.

١٠ ـ تعريف بالفروق الواردة في التفسير.

١١ ـ ووضع اسم السورة ورقم الآيات المفسرة في أعلى الصفحة.

١٢ ـ شرح الكلمات الغريبة، والتعليق على بعض المسائل التي تدعو الحاجة إليها.

١٣ ـ إضافة النكات البلاغية التي أضافها أبو السعود على البيضاوي لتزداد فائدة الكتاب العلمية.

١٤ ـ التعليق على ما وقع فيه البيضاوي:

أ ـ تضعيف بعض القراءات المتواترة استناداً لمذهب نحوي، كما ضعف قراءة حمزة في أول النساء «والأرحام» بالكسر، رغم أنها صحيحة من حيث ثبوت القراءة بها ومن حيث اللغة كما ذكر أبو حيان، وقد تسرب إليه هذا التضعيف من الكشاف دون الانتباه إليه، وقد ورد ذلك في أكثر من موطن.

ب ـ تسربت إليه بعض الاعتزاليات من الكشاف، وقد ورد ذلك في أكثر من موطن فنبهت عليها مبيناً

أقوال أهل السنة في ذلك.

ج - أورد في نهاية كل سورة حديثاً في فضلها وهي في جملتها موضوعة باتفاق أهل الحديث.

د - أورد أحاديث في البخاري ومسلم أو في أحدهما، ويصدرها بكلمة «روي» وهذه الصيغة من صيغ التمريض التي يُصدر بها الحديث الضعيف دون الحسن والصحيح فتنبه.

هـ - البيضاوي شافعي المذهب، وقد ينسب للحنفية أقوالاً غير محررة، كما في مسألة بيع دور مكة وأجارتها حيث نقل عنهم عدم جواز بيع دور مكة وأجارتها والفتوى عندهم بخلافه.

١٥ ـ كثيراً ما يحيل البيضاوي على مواطن سابقة، فيذكر أنه قد مرّ تحقيقه في سورة كذا ولم يذكر الآية التي بحث فيها ذلك المبحث، فنعود للموطن الذي حقق عنده البحث ونشير إليه.

١٦ ـ التعليق على تأويلات البيضاوي وإثبات قول السلف رضي الله عنهم.

اللهم اجعل أعمالنا كلها صالحة...
واجعلها لوجهك خالصة...
ولا تجعل لأحد فيها شيئاً.

تفسير البيضاوي

المسمّى

أنوار التنزيل وأسرار التأويل

تأليف

القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي

ت : ٧٩١ هـ

حققه وعلق عليه وخرّج أحاديثه وضبط نصّه

محمد صبحي بن حسن حلّاق و الدكتور محمود أحمد الأطرش

تنبيه

- تم ضبط الآيات القرآنية في صلب التفسير بما يتفق مع التفسير، وقد اعتمد البيضاوي على غير قراءة حفص عن عاصم.
- إتماماً لفائدة الكتاب العلمية تمت إضافة النكات البلاغية التي أضافها أبو السعود على البيضاوي، وقد تم ذكرها في الهامش، وقد ذكرناها في الغالب بعبارة تكون أوضح من عبارة أبي السعود وقد تمت الإشارة في الهامش إلى تفسير أبي السعود بالحرف «س» أي أن ما ذكره في الهامش «س» يعني أنه مأخوذ من أبي السعود.